دور لسانيات النص في ترجمة الخطاب الصحفي

جازية فرقاني
جامعة وهران1
أحمد بن بلة - الجزائر -
mirdjaz@hotmail.fr

الملخص:
نتطرق في هذا المقال إلى قضية راهنة تفرضها التغيرات التي يعرفها العالم، وهي قضية تواصل الحضارات وتفاعلها وتداخل الثقافات وتناسلها عن بعضها بعض، والدور الذي تؤديه الترجمة بعامة والترجمة الصحفية بخاصة في هذه العمليات؛ ثم الآليات التي تقدمها لسانيات النص للفعل الترجمي من أدوات للحفاظ على الترابط بين أجزاء النص وتدخله في مجال النصية، مُحقَقة معاييرها. وبالتالي، فهي تضع حدوداً لتصرف المترجم في الخطاب الصحفي، موضحة الأسس والمرتكزات التي تحكم هذه العملية.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص - الترجمة - الخطاب الصحفي - التواصل - تحليل الخطاب - المتلقي - الكفاءة.

Résumé:
Nous abordons dans cet article la question de la communication entre les civilisations, l'interaction des cultures et le rôle que joue la traduction journalistique particulièrement dans les processus et mécanismes de la linguistique textuelle. Cette dernière détermine les limites du traducteur face au discours journalistique et montre les fondements qui régissent l'opération traduisante.

Mots-clés: Linguistique textuelle - Traduction - Discours journalistique - Communication - Analyse du discours - Récepteur - Compétence.

مقدمة:

يقول أنطوان برمان: "إنَّ جوهر الترجمة هو الانفتاح والحوار والهجانة واللاتمركز، فالترجمة تستدعي إقامة العلاقة بين الذات والآخر وإلاَ فقدت أساس وجودها".

بعيداً عن قضايا الترجمة المعهودة والتي تُطرح باستمرار على نحو نص المصدر ونص الهدف، وقضية الأمانة والخيانة في الترجمة، اللغة والترجمة، سوف نتطرق في هذه الورقة إلى قضية راهنة تفرضها التغيرات التي يعرفها العالم، وهي قضية تواصل الحضارات وتفاعلها وتداخل الثقافات وتناسلها - في بعض الأحيان - عن بعضها بعض، والدور الذي تؤديه الترجمة بعامة والترجمة الصحفية بخاصة في هذه العمليات، ثم الآليات التي تقدمها لسانيات النص لهذه العملية لتضع حدوداً لتصرف المترجم في الخطاب الصحفي، وتوضح معايير لهذه العملية.

لن تكون الترجمة منهجية إلاَ إذا كانت عمليةً تواصليةً وناقلة لرسائل من لغة المصدر إلى لغة الوصول، رسالة موجهة من طرف مُرسل داخل اللغة المصدر، ومنقولة إلى لغة أخرى من أجل متلق وعى بضرورتها وأهميتها لمسايرة الركب الحضاري وتقليص المسافة بين الذات والآخر، فالترجمة ليست نقلاً من لغة إلى لغة أخرى - كما قد يُعتقد- وإنما هي في جوهرها نقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى، يُشترط في عملية النقل هذه أن تكون فاعلة، تستوعب الثقافة المنقولة وتدمجها في سياقها الثقافي الخاص، لهذا لابدَ من استيعاب التلاقي بين الثقافات والميكانيزمات التي يمر بها، خاصة إذا كان الخطاب صحفياً ذا رواج واسع قادرا على الوصول إلى عدد كبير من الناس، ولكي تقوم ترجمة هذا النوع من الخطابات بدورها على أحسن وجه، ستعمد إلى ما تقدمه

لها لسانيات النص من أدوات الدراسة وآليات تُسهم في ردم الهوة بين نص المصدر ونص الهدف، والتقليل من الأخطاء في انتقال الخطاب الصحفي من الضفة التي وُلد في حضنها إلى الضفة الأخرى.

لقد غدا النص يُشكل مفهوماً مركزيَاً في الدراسات اللسانية المعاصرة، حيث دعت هذه الدراسات إلى ضرورة مجاوزة الجملة في التحليل إلى فضاء أرحب وأوسع وأخصب في محاورة العمل الإبداعي، فالنص شبكة معطيات ألسنية وبنيوية وإيديولوجية كلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير، وهو قابل للتعدُد بحكم تعرضه المتجدَد لفعل القراءة والتلقي، وهذا ما تدعوه "جوليا كريستيفا" بإنتاجية النص بعامة والنص الصحفي ذي القراءة الواسعة يفتح المجال للحديث عن الدور الذي يؤديه هذا النوع من الكتابة في الترويج للأفكار أو الدعوة لرأي والإقناع بفكرة، ثُمَ الوسيط الذي يقوم بهذه العملية، وما تقدمه له لسانيات النص من أدوات للحفاظ على الترابط بين أجزائه وتدخله في مجال النصية، مُحقَقة معاييرها السبعة[1] "فالنصية تميز النص عمَا ليس نصَاً، فالنصية تُحقَق للنص وحدته الشاملة، ولكي تكون لأيَ نصَ نصيَة ينبغي أن يعتمد مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية."[2]

إنَ النظر إلى النص بالاعتماد على المعايير النصية يُكسبه صفة الشمولية في التحليل، لأنَه يجمع بين المُرسل والمتلقي والسياق وأدوات الربط، ويُضاف المترجم في حالة ترجمة النص إلى لغة أخرى حين يتلقى المترجم النص وفي رغبة ملحة منه لخلق التواصل ومحاولة التحرر من الارتباط الوثيق ببعض مكونات نص المصدر لصياغة نص جديد يأخذ بعين الاعتبار المتلقي في بيئة الآخر وظروف التلقي نجد المترجم يتصرف في نص المصدر متكئاً على الأسباب الثلاثة التالية:

- عدم جدوى الترجمة الحرفية.
- اختلاف وضعيتي التلقي بين بيئتين، خاصة عندما يتعلق الأمر بإيصال حقيقة أو تصوير واقع غير موجود في لغة الهدف.

- الرغبة الواعية في تبسيط النص ليسهل فهمه من قبل كل القراء على اختلاف مستوياتهم.

تسعى الترجمة الصحفية في الأغلب الأعمَ إلى نقل أخبار وتقاسم معلومات مع القراء، قد يلجأ المترجم الصحفي إلى تلخيص النص وتقليص مساحته تماشياً مع المساحة المخصصة له في الجريدة مثل العمود أو نصف صفحة، لكن هذا لا يُعطي للمترجم الحق في تغيير مسار النص وتحويل طريقه، الترجمة التلخيص مقبولة ما إن حافظت على المعنى وعلى الأفكار الرئيسية دون تحريف أو تحوير، لأنَ الترجمة إنشاء جديد لنص موجود، ويرتكز هذا الإنشاء على المعارف الموضوعاتية وعلى الكفايات اللغوية الملائمة، وتتكوَن عملية الإنشاء من ثلاث مراحل وهي: فهم النص الأصلي، إنشاء النص المُترجَم ثمَ التقييم، "لكن إذا ترجم المُترجِم نصَاً من النصوص فهو لا يترجمه في كليته، لأنَ نقل النص نقلاً كليَاً إنَما يعني تكراره لا ترجمته، فالمترجم إنَما يترجم جوهر النص"[3] الذي يُعدَ ذا طابع شمولي وأحادي في الوقت نفسه، لأنَه من مصدر واحد هو المؤلَف الذي يصبو المترجم إلى اكتشاف القصد التواصلي الذي كان يبتغيه ليعيد إنتاج أثره في لغة أخرى (فمن الطبيعي أن يفكر المترجم أيضاً في الجمهور أو بالأحرى في قابلية ترجمته للقراءة."[4] دون الوقوع في التبسيط الذي سيُنتج اللاتواصل.

إنَ التماسك النصي الذي تحدث عنه "جان ميشال آدم" وأرسى أسسه في نظرية متكاملة تحدد إطار التحليل النصي، تحد من حركة مترجم الخطاب الصحفي وتقف عائقاً في وجه بتر الأفكار والتقليص من الفقرات التي لم يستطع ترجمتها أو لم يوفَق في ترجمتها، لأنَ "جان ميشال آدم" ينظر إلى النص بوصفه كُلاً تحدُه مجموعة من الحدود وكتلة مترابطة بفعل العلاقات النحوية التركيبية بين القضايا وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة على العوائد المختلفة، لتحقق اتساق النص وانسجام مكوناته بإدراجه ضمن سياقه حيث البعد التأويلي الذي يعمل على تقريب المسافة بين النص ومؤلفه ومتلقيه أيضاً.

يؤكد "جان ميشال آدم" أيضاً على تلقي النصوص وتفاعل القارئ المستقبل لها، حيث يمكن أن تتوافق أهدافه مع أهداف مؤلف النص، كما يمكن ألا تتوافق، فقد يصير النص الأصلي نصاً آخر عند التلقي والقراءة "ليناسب معارف هذا المتلقي وأهدافه، وهنا تبرز الفضاءات الذهنية وهي مساحة المعارف والمعتقدات بين المؤلف والمتلقي وقوامها الترابط والانسجام."[5]

إن عملية الكتابة وعملية الترجمة تخضعان لاستراتيجيات خطابية يتحكم فيها - بالإضافة إلى كل ما هو لغوي- عناصر غير لغوية، ممثلة في سياق النص والتناص وعلاقة الكاتب المؤلف بالنص المنتَج والجمهور المستهدَف، ثم كل العناصر التي تشكل العملية الترجمية، فعلى المترجم "أن يضع نصب عينيه تركيبة المتلقين الذين ينشد التواصل معهم... فلا ينظر إليهم كذوات منعزلة تعيش في فراغ سيدمي، وإنما أن يدرجهم في السياقات الاجتماعية والثقافية والإثنية والسيكولوجية التي ينتسبون إليها، أي باختصار أن يأخذ في الحسبان مجموع العوامل المحددة لبيئة التداول الجديدة ليتمكن من ممارسة عمل الترجمة بما هي نسق ثقافي وحضاري في الدرجة الأولى."[6]

وبما أن كل جريدة تخرج إلى السوق تقتضي أن يكون لها قُراء، فإن الكاتب (المحرر) ومن ثَم المترجم يضع في اهتماماته الأولى الحفاظ على هؤلاء القراء باستقطابهم والتأثير فيهم وإقناعهم بوسائل الإقناع والحجاج، والمترجم تبعاً لذلك مُطالب أيضاً بالوقوف عند هذه الوسائل والبحث عن مكافئات لها لتحقيق الوظيفة التواصلية فلا "يجب على النص المتَرجَم أن يقف حجر عثرة أمام الفهم، ويدفع بالمتلقي إلى طرح السؤال التالي: ماذا يريد هذا الصحافي المترجم أن يقول من خلال هذا المقال؟"[7]

إن نوعية متلقي الترجمة يجب أن تدفع المترجم الصحفي إلى التصرف لضبط التواصل بشكل جيد، لكن هذا التصرف لا يجب أن

يغير المعنى العام للنص الأصل، وإن سعى بوعي إلى تغيير وظيفته، ولهذا فإن عملية تقييم أية ترجمة تستند إلى الأهداف المرسومة مُسبقاً للنص المترجم والوظيفة التي يراد له أن يؤديها عند تحويله إلى لغة أخرى في بيئة غير التي وُجد فيها وأُنتج لها، وفي هذا المجال تؤدي النصية الناتجة عن تشكل مُزدوَج، مقطعي وتداولي، دورا أساسيا في ضبط مسار النص المنتج وتحقيق الغاية من تواجده ثم ترجمته. أما التشكل المزدوج، المقطعي والتداولي، فيتمظهر الأول في تمفصل النص إلى مقاطع بفعل التنظيم والتنقيط والشكل الأهم بفعل علامات لغوية معينة، أما التوجه التداولي فيحدده غرضه وتحده العلاقات التي تربطه بمحيطه الخطابي والمرجعي العام.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى تأثير الإيديولوجيا الصحفية في الترجمة، إذ تُوصف وسائل الإعلام بأنها السلطة الرابعة في المجتمع، لها القدرة على توجيه القراءة واستمالة الرأي، ومن هذا المنطلق فإن اختيار المترجم الصحفي لنصوص بعينها يحدد مقاصده، وبالتالي مدى التطابق بين ما يتوخاه لترجمته من تأثير وبين ما سوف يتحقق فعلاً على صعيد العلاقة مع القراء المتلقين لهذه النصوص المترجَمة، إذ للنص الأصل سلطة على المُترجم لا يجب التنصل منها والخضوع لسلطة سياسية أو إيديولوجية خارجة عن نطاق النص وفي هذا الإطار يدخل السياق بقسميه الخارجي والداخلي عنصراً فاعلاً في تحديد هذا التوجه، فمراعاة السياق الخارجي يعني الإحاطة بالظروف التي أُنشئ فيها الخطاب، مما يسهم في "حصر مجال التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود."[8] فالخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يُوضع في سياقه مما يحقق تواصليته وانسجامه، فالبعد التأويلي يحصر القراءات الممكنة ويستبعد القراءات التعسفية المفروضة على النص، لأن الإبداع في لغته أو مُتَرجماً لا يوجد حقيقة إلا عندما يُعاد إنتاجه وإبداعه في ذهن المتلقي، مما يكسبه أهمية حاسمة ليس في فعل التأويل فحسب، وإنما يجعل لذلك العمل امتداداً في التاريخ وتأثيراً متواصلاً على أجيال القراء المتلاحقة.[9]

يخضع الخطاب الصحفي المكتوب والمسموع إلى إكراهات تحد من حركيته والتزامه بالنص المصدر، فهذه الإكراهات إما أن تكون زمنية في الخطاب المسموع، أو مكانية في الخطاب المكتوب، والإكراه الذي نتحدث عنه في هذا المجال هو الإكراهات المكانية التي تقف عائقاً أمام المترجم المطالب بإنتاج نص مترجَم يحترم محددات الأمانة والوفاء لنص المصدر، وقادر على تحقيق المقبولية والمقروئية في لغة الهدف في حيز مكاني محدود على صفحات الجرائد والصحف، ولهذا فقد نُرجع بعض الزلات والهفوات التعبيرية في بعض الأحيان إلى المساحة التي تترك للعمود المُترجَم أو المقال المترجم على صفحات بعض المجلات المتخصصة.

إن مجمل الهفوات اللغوية والتعبيرية التي يمكن ملاحظتها على الترجمة الصحفية نابعة من اختلال في معيار أو أكثر من معايير النصية، وقد قدمت لسانيات النصوص حلولاً لتفادي هذه الزلات التي من مفادها أن تنزاح عن مسارها الصحيح "فعلى المترجم ألا يقف عند حدود فهم المحتوى الواضح للرسالة، بل عليه أن يفهم دقائق المعنى والقيم الشعورية الدالة للكلمات، والسمات الأسلوبية التي تعيَن النكهة والإحساس في الرسالة."[10]

وصفوة القول: إن الهدف الأساسي من الترجمة الصحفية هو الإعلام والإخبار والتواصل مع فئات غير محدودة في المجتمع، وأن تُخبر تقتضي توجيه هذه المعرفة لمن لا يعرفها، معرفة يقتضي فهمها ثُم التعبير عنها بوضوح بحيث تصل المُرسَلة إلى القارئ في شكل يفهمه ليس نسخاً عنه، لكن بوصفه حالة من التواصل، إذ إن "المعنى فردي لكن الأشكال اجتماعية، إذا يمكننا قول ما نريد لكن القالب الذي سنصب فيه مقصدنا ينبغي أن يطابق العرف اللغوي."[11]

إن كل خلل في الفهم وفي استقبال الفكر لمعنى النص الأصل ينتج عنه بالضرورة خطأ في التعبير وانزياح في الدلالة وفي ضوابط

اللغة الهدف، وإذا كان المترجم الصحفي ملتصقا بالعمل اليومي موزَعا بين الصحافة والترجمة فلا يُختزَل تكوينه في المسألة اللغوية، لأن الترجمة تنتج مباشرة عن الحاجة إلى التواصل القائمة على عمليتي الفهم ومن ثم التعبير، فليس المترجم مؤلفاً وإنما هو مقيد بمعنى أو معاني النص المصدر، الذي يجب عليه أن ينقله بأمانة، هذه العقبة التي تواجه الفعل الترجمي، فالنسخ الشكلي مستحيل والانزياح عن النص الأول غير مقبول، فمسؤوليته اتجاه القارئ تفرض عليه أن يعيد إنتاجه بأمانة، محققاً نصية الخطاب الصحفي المُترجَم، لرصده برؤية شاملة عبر آليات وعلاقات غايتها ربط أجزاء النص للوصول إلى المقصد الذي يختفي وراء حجب النصية.

فإذا كانت الترجمة ضرورة حضارية ونشاطا فكريا وعملية لغوية يحتمها الاحتكاك بين الشعوب ذات الألسنة المتباينة، فإن ترجمة الخطاب الصحفي تكتسي أهمية أكبر من حيث خصوصية انتمائه إلى نوع معين من الخطابات ذات الانتشار الواسع في الأوساط المختلفة؛ شولهذا يتوجب على هذا النوع من المترجمين أن يستفيدوا مما تقدمه لسانيات النصوص من أدوات تعمل على الحفاظ على ترابط النص وانسجامه لتحقيق العلاقة التواصلية -الاتصالية بين الإبداع ومتلقيه.

الهوامش:

1. Voir, Beaugrande R. and Wolfgang Dressler- Introduction to text linguistics, Logman - London, 1981, p (cohesion - coherence - intentionality - acceptability - situationality - intertextuality - informativity).

2. نور الدين السيد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للنشر- الجزائر، 1997، ج.2، ص؟؟؟

3. قانسيليس كوتسيفتيس: السبيل إلى نظرية لجوهر الترجمة، ترجمة عبد الرحيم حزل - مجلة ترجميات- السنة الأولى، العدد الأول، فبراير 2006، ص124.

4. أنطوان برمان: الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة د/ عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.1، 2010، ص99.
5. رشيد عمران: نحو لسانيات نصية عربية، مقارنة في مفهوم النص والتماسك النصي، ص16/8.
6. حسن بحراوي: الترجمة والتلقي، مجلة ترجميات، س1 ع1، فبراير 2006، ص76.
7. عبد اللطيف هسوف: مبادئ يجب مراعاتها في الترجمة الصحافية، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات، دراسات، ص5/2.
8- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.2، 2006، ص52.
9. الكدية الجيلالي: الترجمة والتأويل، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية (الترجمة بين الهيرمونيطيقا ونظرية التلقي)، الرباط، 1995، ص53.
10. إدوين غينتسلر: في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة، تحقيق سعد عبد العزيز مصلوح، المنظمة العربية للترجمة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، ص154/153.
11. ماريان لوردورير، دانيكا سيليسكوفنيتش: التأويل سبيلاً إلى الترجمة، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 2009، ص57.